

نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا . فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا . يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنْ عَبْدَ اللَّهِ أَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا . السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا ﴿١﴾ . وبعد ذلك نرى النسق القرآني أخذ جواً آخر في ختام الآي . فقد اختلفت رعوس الآي ولم يستمر على ذلك النظم والرتيب . فهو حتى هذه الآية يقول « ويوم أبعث حيا على وزن شقيا ورضيا ومنسيا ومقضيا » . وبعد ذلك تقول الآية ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً ، فإنما يقول له كن فيكون . ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ . أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُوتَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . وَأَلْدَرُهُمْ يَوْمَ الْحَشْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴾ (٢) .

وبعد ذلك تعود الآيات سيرتها الأولى . فيقول تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٣) ما هذا ؟ ما هذا ؟ ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٤) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٥) ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٦) . فلماذا نجد الآيات التي بعد عيسى مباشرة تأخذ طريق آخر غير الطريق الأول . إن الله تعالى يريد أن يأخذ بأذهاننا وعقولنا وأذاننا وقلوبنا إلى أن الآية التي اتخذت مداراً آخر غير الآيات الأولى إنما

(١) مريم ٢ : ٣٣ .

(١) مريم ٣٤ : ٤٠ .

(٣) مريم ٤١ .

(٤) مريم ٥١ .

(٥) مريم ٥٤ .

(٦) مريم ٥٦ .